

مساكِل التعريب في الصحافة الروسية

العام فبين مدى التباين الموجود بين التعليم في المغرب ، ونظيره في الشرق الذي امسى منذ وقت طويل معربا في كثير من شعبه العالية .

* * *

ومن هنا تطرق الباحث الى القضية التي تشغل بال الرأي العام العالمي العربي وهي قضية المصطلح العلمي غير الموحد ، حيث ابرز عن طريق ما كتبه الصحف والمجلات العربية خطورة هذا الاختلاف مؤكدا أن التغيير من شأنه ان يحدث عوائق أقوى في طريق تقدم لغة الضاد ، ومسايرتها الحضارة الحديثة ، وقد اقترح الكاتب في هذا الصدد تأليف قاموس علمي عربي موحد تشارك في وضعه لجنة عليا للخبراء في اللغة العربية واللغات الاجنبية ، مذكرا بالتوصيات التي اسفرت عنها المؤتمرات العلمية واللغوية في هذا الموضوع كمؤتمر اليونسكو ، ومؤتمر الآثار ، ومؤتمر التعريب الذي انبثق عنه المكتب الدائم لتنسيق التعريب .

وفي صدد هذا المكتب أورد الكاتب ما اقترحه السيد أحمد الاخضر في مؤتمر التعريب الرامي لانشاء معهد المغرب العربي للتعليم ، يكون مختصا بتحضير الكتاب المدرسي وتوحيد مناهج التعليم الشيء الذي من شأنه أن يسهل مهمة المكتب الدائم لمؤتمر التعريب بخصوص بلدان المغرب العربي والذي لاشك - يقول الكاتب - سيرفع مستوى مساكِل التعريب في المغرب العربي الى ما توجد عليه في الشرق العربي اليوم .

وختم الاستاذ سعيد كامليف بحثه هذا بانارة الصراع القائم اليوم في العالم العربي بين الفصحى والعامية وتشكك بعض العلماء في قدرة لغة الضاد على مسايرتها لتقنية العالم الحديث . وقد أورد رأي أحد المستشرقين السوفييات في حل هذه القضية التي لا تعدو أن تكون مشكلة لغوية بسيطة لا تحتاج الى هذه الضجة القائمة اليوم ولا تحتاج الا الى تبسيط الفصحى للرفع من العامية .

كتبت مجلة شعوب آسيا وأفريقيا الصادرة عن أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيياتي بحثا يتعلق بقضايا التعريب في بلدان المغرب العربي كتبه المستشرق الروسي (سعيد كامليف) (1) وقد اعتمد هذا المستشرق في بحثه على مجموعة الدراسات والابحاث التي نشرت بالصحافة العربية والفرنسية بالمغرب في موضوع مساكِل اللغة العربية والتعريب .

وقد جاء في هذا البحث ، « ان اقرار اللغة القومية هو احدى المساكِل التي تعترض النهضة الثقافية وتطورها في بلدان آسيا وأفريقيا التي منيت بالاستعمار حقبة غير قصيرة من الزمن ، وقد تكون هذه المساكِل متبلورة في البلاد الناطقة بالضاد أكثر من غيرها » .

وفي اطار ابراز هذه الفكرة استند الباحث الى ما ورد في بعض خطب ومقالات المسؤولين عن التعليم والثقافة مؤكدا « ان استخدام اللغة العربية في المدارس ونشرها على المستوى الحضاري هو الحل الوحيد للمساكِل التي تتخبط فيها الثقافة العربية في هذه البلاد اليوم » وقد أورد الكاتب جملة من المساكِل التي تعترض نشر اللغة العربية على النطاق الاوسع في بلاد المغرب العربي ملاحظا أن الازدواجية المفروضة على التعليم الابتدائي ووجود مدارس للبعثات الاجنبية الفرنسية . وفرنسة التعليم العالي في بعض الاقسام والمواد جملة لا يمكن معه بحال من الاحوال ان تكون للغة العربية في هذه البلاد أية شخصية .

واذا ألقينا نظرة بسيطة على مستوى المعلمين الذين يقومون بتدريس اللغة العربية في بلاد المغرب العربي نجد ان كثيرا من الذين يقومون بهذه المهمة هم من الذين لم يستكملوا ثقافتهم بعد ، ولهذا تأثيره القوي في عرقلة نشر اللغة القومية .

وقد أشار الباحث الى دراسات الاساتذة عبد العزيز بنعبد الله مدير المركز الوطني للتعريب ومحمد الفاسي رئيس الجامعة المغربية واحمد الاخضر كاتبها

(1) عرب لنا هذا البحث الاستاذ ماليفسكي من سفارة روسيا بالرباط



رايسكه ، وأما ي.ج. ايشهورن Eichhorn ، وهو أيضا من المستشرقين ، فنشر سنة 1781 المكاتيب التي بعث بها رايسكه عام 1757 بخصوص مسألة السكك العربية الى مدير الخزينة فى متحف مدينة دريسدن .

وقد رفع رايسكه من شأن علم اللغة العربية وأدبها وجعله علما مستقلا . ولم ينتبه أحد من معاصريه الى استقلال هذا العلم وعدم ارتباطه بغيره من العلوم اللغوية واللاهوتية مثلما أدرك ذلك رايسكه ، ولم يتوجه أحد بهذه التحفظات ضد لغة المقدسة philologia sacra الذي كان مسيطرا على عقول العلماء فى ذلك العصر ، وكان مقصد هذا النوع من علم اللغة ان صاحبه لم يهتم بالعربية الا من حيث اسداؤها له فوائد جمعة فى تفسير العهد القديم ، وكان يكتفى بالبحث عن أصول كلمات عربية فى قاموس العربى لجولديس ويقابلها بكلمات عبرانية مختارا له من المعانى المختلفة لكل كلمة المعنى الذى يوافق اغراضه . ورغم ان احدى مميزات عصره كان نوع العلم المدعو بـ Polyhistorism أي ان العالم تخيل انه بإمكانه لا بل من واجبه تحصيل العلوم كلها والوقوف على التطور التاريخى بأجمعه فقد عرف رايسكه ان للطبيعة الانسانية وللعقل الانسانى حداً نهائياً ، لذلك كف مرة عن تحصيل آثار المؤرخ الرومانى سيسرو « لاجل لا نهائية الاعمال لنقص فى الوسائط وليل عظيم لليونانيين وقد كرس وقته للعربية فقط فرفض اضاءة وقته وقوته فى تحصيل اللغات المتجانسة . وكان غرض رايسكه اثبات الوحدة الباطنية الروحية لعليه اللغة اللغوية والتاريخية والادبية ، ولم يهتم بالعلاقة الظاهرة بين اللغات السامية . مما لا شك فيه انه كفتيه فى اللغة رأى أصل العلم وأساسه فى درس عميق للغة نفسها وكان معلوما عنده ان لا يهدى الى وقوف حقيقى على اللغة العربية الا طول الأناة والصبر فى مطالعة آثار المؤلفين العرب سنة بعد سنة بلا انقطاع وتحقق له بان مؤلفات العرب المسلمين أفضل من كل ناحية من مؤلفات العرب النصرانى بكثير . ولم يكن يخفى على فراسته ان طبقات التوراة والانجيل العربية

ترجمها اما نصرانى شرقيون ممن لم يكن لهم علم باليونانية أو العبرانية أو العربية ، أو انها كانت تراجم عجمية على أيدي اليسوعيين الذين لم يعرفوا الا الفلجانا (أي الترجمة اللاتينية للتوراة والانجيل من القرن الخامس م) . ولذلك اجتهد رايسكه فى فتح طريق الى خزائن آداب العرب المسلمين وتوفى فى ذلك وأصبح هاديا للآخرين . ولكن درس اللغة لديه ليس غرضا بنفسه بل رأى فيه أساسا للكشف عن التاريخ . ونظرتة هذه أدت به الى ادراك أهمية الدور الذى لعبه الاسلام فى تاريخ الشرق . فانه لم ينظر الى المتن العربية نظرة اللغوى انصرف السدى لا يكتفى الا لفهم معانى الكلمات كما قصدها المؤلف نفسه بل نظر اليها نظرة المؤرخ الذى جعل لتاريخ الاسلام مقامه من تاريخ العالم العام وكان يشرح هذه التنوعات مثلما يشرح المشاهد فى دار التمثيل عند تأمله فى الوقائع الجارية على المسرح اذ يقوم بالفحص عن بواعث الاشخاص الممثلين وعن مراد الشاعر . ورغم ان رايسكه لم يتوفق بتأليف « تاريخ الاسلام » كما أراده فان هذا العالم البعيد النظر وضع أساسا للعلوم الاسلامية العصرية التى تبنى كعلم تاريخى على أساس علم اللغة العربية . أما معاصروه فلم يستطيعوا فهم أفكاره الجسورة ولا تأملاته الجليلية فصار « شهيد الادب العربى » كما سمي نفسه وأصبح تاريخ حياته تاريخ الآلام والظلم كما تشهد به مذكراته المؤثرة . وكما ان للجرأة التى سار بها دون اكتشافات على الطريق الذى اعتبره مرة صحيحا أثرا ساميا فانه من المخجل انه لم يكتشف أحد من أولى الامر فى جامعات أوروبا أهمية هذا الرجل العبقري العظيم ، هذا الرجل الفذ الذى كان من أعظم علماء الآداب العربية ، ومن المخجل كذلك ان هذه الآداب التى أراد تشييد بيت لها لم تحصل فى ألمانيا القبول الذى استحقته . ولكنه من الطريف ان نذكر انه أسس فى القرن التالى فى لايزج أي فى عين المدينة التى قاسى فيها ما قاسى معهد لدراسة اللغة العربية يفتخر بان يعتبر رايسكه من أجداده الروحانيين .